أنوارُها منذ مَطلع القرن العشرين ، حتى أولئك الذين تأثّروا بالثّقافة الأوربيّة تأثّراً واضحاً ، وكانوا من دُعاة التّجديد الشّامل في ميادين الاجتماع والسّياسة والثّقافة ، إذا بهم يتّجهون منذ ثلاثينيّات هذا القرن إلى سيرة الرّسول ، كلٌّ ينظر إليها من زاوية ثقافته واتّجاهه العلميّ أو الفنّيّ ؛ فنرى طه حسين يكتب « على هامش السيرة » يصوغ فيها مشاهد من حياة الرّسول ، صياغةً نثريّة جميلة ، ويكتب محمد حسين هيكل كتابَيْه « في منزل الوحي » ثم « حياة محمد » ، ويتبَعُ ذلك بكتابة سِيَرٍ كبار الصّحابة ، ولكنه يتّجه في كتاباته اتّجاهاً علميا تاريخيا ، ويهتمُّ العَقّاد بإجلاء جوانب من شخصيّة الرّسول ﷺ والملامح ذاتِ الدّلالة في حياته ، في « عبقريّة محمد » ، حتى توفيق الحكيم الذي كان اتّجاهُه للكتابة المسرحيّة يحمل على الظّنّ بأنه بعيدٌ عن هذه الاهتمامات ، إذا به يُدلي بدَلْوِه أيضاً في هذا المجال ، فيعمل على « مسرحة » السّيرة النّبويّة في عمله الفنّيّ « محمد » ، الذي لم ينل من الاهتمام ما هو جديرٌ به .

أمّا الشّعرُ فلا يزال اهتمامُه بالرّسول ﷺ على أشدّه ، فشخصيّةُ محمد (عليه السّلام) مَعينٌ لا ينضب ، واستلهامُ الشّعراء من شتّى جوانبها المضيئة لم ينقطع ، ويمكن أن نؤكّد أنه لن ينقطع أبداً ، ومهما كثر الحديثُ عن سيرته فما زالت الكلمة الشّعريّة قادرةً على أن تستكشف مساحاتٍ أخرى من شخصيّة الرّسول ، تستحقُّ أن تُسلّط عليها الأضواءُ من جديد .

ولسْنا نستطيع متابعةَ الشّعر الذي فاضت به قرائحُ شُعرائنا خلالَ العقود الأخيرة ، فهو يحتاج إلى دراسة خاصّة ، لا سيّما بعد التّطوُّر الذي أصاب الشّعر العربيّ منذ منتصف هذا القرن .

على أنّي أودُّ أن أنوّه في النّهاية بديوانٍ طريف ، أفْرِدَ كلُّه تقريباً للمديح النّبويّ ؛ هو « محمد رسول الله » وقد صَدر منذ أربع سنوات[1] . و وجْهُ الطّرافة

(١) نشر دار الشروق ، القاهرة ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م .